البوابة التعليمية الجزائرية

النص التواصلي

معلم الأمثال (حسين مروة)
الحكم في الجاهلية (بطرس البستاني)

تقديم النص

الأمثال والحكم من مظاهر الحياة العقلية للعرب في العصر الجاهلي وقد انتشرت بينهم أكثر من المظاهر الأخرى لأنها توافق مزاجهم الفكري. وفي النصين الآتيين يحلل الكاتبان أمثال الجاهلية وحكمهم وتعلق العرب بهما.

معلم الأمثال

للأمثال دورها الكاشف. من حيث كونها معلما تاريخيا من ثقافة الجاهلية العربية، فإن ثقافة كهذه، درجة تطورها لا تتجاوز بها مرحلة الثقافة المحكية، أي مرحلة التعايش المباشر لحياة الناس اليومية والتعبير الشفهي غير المدون عن هذا التعايش، هي ثقافة تجد في الأمثال أبسط أشكالها وأيسر أدواتها للشمولية والسيرورة. فإن الأمثال، في مثل هذا الشرط التاريخي، تجمع بين ميزتين متفاعلتين: هي – من جهة أولى – تعبير مكثف عن حادثة منفردة أو حالة جزئية، وهي – من جهة ثانية – تحويل للعبارة الواقعية إلى رمز، وتحويل للحادثة و الحالة من واقعهما المنفرد والجزئي إلى دائرة العام والكلي. وعبر هاتين الميزتين تحمل الأمثال علامات ودلالات تاريخية على الكثير من التفاصيل عن نوعية الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها وعن نوعية الوعي الاجتماعي بمختلف أشكاله.

إن أمثال الجاهلية إلى جانب كونها تعبر عن نظرة الجاهليين إلى أشياء حياتهم اليومية و العادية الملموسة و إلى الأحداث الجارية في هذه الحياة، تعبر كذلك عن نظرتهم إلى المعاني و القضايا والمشكلات البشرية بالمستوى النسبي – تاريخيا – لهذه النظرة.

ففي هذه الأمثال نجد بالفعل حياة الجاهليين وملاحظاتهم الذهنية عن شؤون الحياة والموت والحرب والسلم، وعن شؤون السلوك الاجتماعي وشؤون التعامل بين الناس في مختلف مجالات النشاط البشري المتوفرة لديهم، وعن الموازين الأخلاقية عندهم والحالات العاطفية وعلاقات التحالف والولاء والتخاصم،

وعن أشكال شتى من تجارب هؤلاء الناس مع واقع حياتهم و ظروف عيشهم. لكن المحتوى الثقافي الذي يعنينا هنا بالأخص هو ما ينقل إلينا نوعية المعارف عن الطبيعة والمجتمع والفكر لدى الجاهليين، أي ما يصلح أن يجعل من هذه الأمثال معلما ثقافيا بوجه ما. إننا في هذا المجال نقع من أمثال الجاهلية على وفر من الدلالات المعرفية، شرط أن نأخذ هذه الدلالات مرتبطة بإطارها التاريخي، أي أن نزن قيمتها المعرفية بميزان المستوى التطوري لمجتمع شبه الجزيرة حينذاك. و ينبغي أن نضيف إلى الأمثال ذات الدلالات الثقافية أمثالا تحمل دلالات أرقى من تلك في الحقل الثقافي. هو صنف الأمثال المعبرة عن مدلولاتها بطريقة المجاز الفني أي بنحو من التطور الجمالي؛ اسمع إلى قولهم « ركب جناحي نعامة » و هو تعبير عن السرعة.

بتصرف :« النزعات المادية في الإسلام»

الحكم في الجاهلية

الحكم في الجاهلية وليدة حوادث الدهر وتجاربه، لا وليدة العلم الصحيح والتفكير العميق والتأمل الطويل. فجاءت في كثرتها، من الحقائق البديهية والفكر المشترك، موافقة لحياة القبيلة في الصحراء، وما تواضعت عليه في ناموسها الفطري من الآداب الخلقية والاجتماعية، ترشد البدوي إلى منافعه، وتبعده عن مضاره، تزين له الفضائل التي تحمدها الحمية الجاهلية كتعظيم القوة وتحقير الضعف، وظلم البعداء والحلم على الأقرباء، والعفة عن الجارة، و إدراك الثأر و صنع المعروف لنيل الثناء واكتساب الذكر الجميل، كما تزين له فضائل إنسانية لا يحدها زمان ولا مكان كالأمانة والوفاء بالوعد، واصطفاء الصديق، وتجنب الرياء والخيانة، وإباء الذل والصبر على المصائب.

ولم تسمح لهم بيئتهم الطبيعية والاجتماعية بأن يخرجوا في آرائهم إلى نظم إصلاحية عامة، فجاءت حكمهم جزئية يفيد منها المجموع، لا كلية شاملة تتوخى خير الجماعة، وتعنى بعلاج مشاكلها، و وضع الشرائع و القوانين لتقويمها و صلاحها.

وشعراء الجاهلية، على الإجمال، نطقوا بالحكمة وضربوا الأمثال على تفاوتهم في القلة والكثرة، وشارك بعضهم بعضا في الأفكار والعظات، فترددت آراؤهم مستعادة مكرورة، تواطأوا عليها كما تواطأوا على مختلف المعاني والتعابير، وقلما وقعت على فلسفة شخصية يتميز فيها الواحد منهم عن الآخر مع ما يبدو عليها من سذاجة وضعف في الأحكام وتعليل الأسباب.

بتصرف. «أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام»

eduportal
البوابة التعليمية الجزائرية